الأنثروبولوجيا والتّعليم الثّانوي

Anthropology and Sacondary Education

أ.د يحيى خير الله عودة

Professor Dr. Yahya Khairallah Awda

الجامعة المستنصريّة/ كلّيّة الآداب/ قسم الأنثروبولوجيّ والاجتماع

Al-Mustansiriya University / College of Arts / Department of Anthropology and Sociology

E- dr.yahya306@gmail.com

الملخص:

تناول البحث موضوع الأنثروبولوجيا والتّعليم الثّانوي لما لهذا الموضوع من أهمّية بالغة ولاسيما في الوقت الحاضر مع انتشار التّطوّر التّكنولوجيّ واستخدام وسائل الاتصال الاجتماعيّ الّتي أصبحت جزءًا لا يتجزأ من حياتنا اليومية، إذ لم تحظَ الأنثروبولوجيا وبعض التّخصصات الإنسانيّة الأخرى باهتمام كافٍ في المراحل ما قبل الجامعيّة إذا ما قورنت ببعض التّخصصات الكثيرة الأخرى الّتي أخذت حيزًا كبيرًا في اهتمامات الدّراسة المتوسطة والاعداديّة، لذلك ركز البحث على ضرورة إعطاء أهمّيّة كبيرة للأنثروبولوجيا في المرحلة الثّانوية كون هذا التّخصص له مساس مباشر بحياة وثقافة المجتمعات الإنسانيّة من خلال تسليط الضّوء على كثير من المشكلات الّتي تواجه المجتمع وأفراده ووضع الحلول النّاجعة لها ، وكذلك عن طريق هذا التّخصص يمكن للمختصين أن يحافظوا على فئة الشّباب والطّلبة في المدارس الثّانوية وتوجيههم باتباع أساليب السّلوك الحسن ، لذلك جاء بحثنا

هذا ليسلط الضّوء على أهمّيّة إدخال الأنثروبولوجيا كمادة مهمّة في هذه المرحلة من خلال استخدام المنهج الوصفيّ حيث تناول البحث مواضيع عدة منها، التّعريف ببعض المصطلحات، ومجالات الأنثروبولوجيا والتّطرق إلى غاية التّعليم ومحتوى التّعليم والنّتائج المتوقعة.

الكلمات المفتاحيّة : (الأنثروبولوجيا ، التّعليم الثّانوي ، اللّغة ، المدرس ، الطّالب)

Abstract:

The research dealt with the topic of anthropology and secondary education because of the great importance of this topic, especially at the present time with the spread of technological development and the use of social media that have become an integral part of our daily lives, as anthropology and some other human specializations did not receive sufficient attention in the pre-university stages if compared to some of the many other specializations that took up a large space in the interests of intermediate and preparatory studies, so the research focused on the need to give great importance to anthropology in the secondary stage because this specialization has a direct impact on the life and culture of human societies by shedding light on many of the problems facing society and its individuals and finding effective solutions for them, and also through this specialization, specialists can preserve the category of youth and students in secondary schools and guide them to follow methods of good behavior, so our research came to shed light on the importance of introducing anthropology as an important subject at this stage by using the descriptive approach, as the research dealt with several topics, including defining some terms, fields of anthropology, and addressing the purpose of education, the content of education and expected results.

(student ،teacher ، language ، secondary education ، Anthropology)

المقدمة:

ان الانثروبولوجيا كفرع من فروع العلوم الإنسانية كان ذا صلة كبيرة وتفاعل مستمر مع بقية العلوم الإنسانية سواء كان في الماضي ام في الحاضر، وارتبط بعلاقات وثيقة وجدلية مع العلوم لدرجة ان الانثروبولوجيا تفرعت منها العديد من الأنواع والاقسام بحيث أصبحت في الوقت الحاضر تظم فروعا لا تعد ولا تحصى تبعا لتعدد المواضيع المدروسة وخصوصا في المجتمعات الحضرية ، وذلك عندما ظهر لرينا في ستينات القرن الماضي فرع الانثروبولوجيا الحضرية والذي اخذ يزاحم السوسيولوجيا على الكثير من المواضيع التي تستحق البحث والدراسة في البيئة الحضرية، ومن جملة المواضيع التي استهوت الانثروبولوجيا في البيئة الحضرية هي المشاكل التربوية والتعليمية، لذلك يعي عالم الانثروبولوجيا انه لا يستطيع ان يقدم اسهاما حقيقيا في دراسة المؤسسات التعليمية الا اذا عمل الى جانب التربويين، وذلك لدراسة مشكلاتهم ووجهات نظرهم ، فحينما حول بعض علماء الانثروبولوجيا اهتمامهم نحو دراسو الحياة الحضرية، كان من الطبيعي ان يقودهم هذا الامر الى دراسة المؤسسات والفعاليات التعليمية والتربوية. وفيما يتعلق بموضوع بحثنا فانه سوف يسلط الضوء على إغفال الانثروبولوجيا كعلم في الدراسة المتوسطة والثانوية على وجه الخصوص، اذا ما قورنت بالعلوم الإنسانية والعلمية الأخرى، وهذه المسالة تنطبق على العديد من البلدان التي تتميز بمستوياتها التعليمية البسيطة وعدم إعطاء هذا العلم دور مهم وكبير من ضمن المواد التي تدرس في هذه المراحل، لذا جاء بحثنا هذا ليوضح عدم اهتمام النظام التعليمي بالأنثروبولوجيا كعلم يجب على الطالب دراسته ومعرفة حيثياته العديدة والمهمة كونه علم يسلط الضوء على الكثير من القضايا والمشكلات التي تعاني منها المجتمعات الإنسانية.

المبحث الأول: الإطار العام للبحث

أولا: عناصر البحث:

١- **موضوع البحث:** ان بحثنا هذا يتمحور حول معرفة الانثروبولوجيا كعلم انساني تطور عبر فترات زمنية متعاقبة مما أدى الى توغله في ميدان المدينة من خلال تناوله لعدة مواضيع تستحق البحث والدراسة ونظرا لأهمية الانثروبولوجيا جاء بحثنا هذا ليبين أهمية ان تكون الانثروبولوجيا كمادة اساسية في التعليم الثانوي وان تدرس على ايدي مختصين لا ان يضيع هذا التخصص ويتشظى على ايدي مدرسين ليس لهم علاقة به.

٢- اهداف البحث:

سعى البحث الى تحقيق عدد من الأهداف منها:

أ- هدف البحث الى تسليط الضوء على ماهية الانثروبولوجيا كعلم انساني يهدف الى تسليط الضوء على الكثير من القضايا التي تمس حياة الافراد في المجتمع.

ب-سعى البحث الى بيان الأسباب الحقيقية والموضوعية التب أدت الى عدم اهتمام المؤسسات التربوية بالأنثروبولوجيا.

ت-هدف البحث الى تسليط الضوء على الغاية الرئيسة للتعليم من خلال بيان الفارق في مستوى التعليم بين الطلبة او الدارسين قبل الادخال المحتمل للأنثروبولوجيا او بعد ذلك

٣- أهمية البحث:

تتجلى أهمية بحثنا هذا كونه سلط الضوء على موضوع مهم جدا لم يسلط الضوء عليه من قبل الباحثين المختصين بالأنثروبولوجيا وبالتالي سوف يفتح المجال واسعا للمختصين في تسليط الضوء المؤسسات التعليمية ما قبل الجامعة، فضلا عما سيقدمه هذه البحث من معلومات قد تفيد المؤسسات الرسمية وخصوصا التعليمية من خلال إعطاء الانثروبولوجيا أهمية في المناهج الدراسية في المرحلة الثانوية.

ثانيا: منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي في هذا البحث او ما يسمى بالاثنوغرافيا التي تعني علم وصف الشعوب والأقوام وتحدد بتسجيل المادة الثقافية من الميدان، كما تعني وصف أوجه النشاط والمعاش (عارف، ١٩٩٠، صفحة ٤٤).والاثنوغرافيا تعطي لنا صورة عن العمليات والاحداث الثقافية اليومية ومعانيه بدقة وكثافة في اثناء حدوثها مع تفضيل الان وهنا (ماكليود و طومسون، ٢٠٢٤، صفحة ١٦٨).

المبحث الثاني: المفاهيم والمصطلحات:

أولا: الانثروبولوجيا:

ان لفظة انثروبولوجيا Anthropology هي كلمة إنكليزية مشتقة من الأصل اليوناني المكون من مقطعين: انثروبوس Anthropos وعناه الانسان، ولوجس Locos ومعناه علم، وبذلك يصبح معنى الانثروبولوجيا من حيث اللفظ علم الانسان، أي العلم الذي يدرس الانسان (الشماس، ٢٠٠٤، صفحة ٩).

ولذلك تعرف الانثروبولوجيا بانها العلم الذي يدرس الانسان من حيث هو كائن عضوي حي يعيش في مجتمع تسوده نظم وانساق اجتماعية في ضل ثقافة معينة، ويقوم بأعمال متعددة ويسلك سلوكا محددا، وهو أيضا الغلم

الذي يدرس الحياة البدائية والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الانسان معتمدا على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل، والذي يعتبر علم دراسة الانسان(الانثروبولوجيا) علما متطورا يدرس الانسان وسلوكه واعماله (فهيم، ١٩٩٧، صفحة ١٧).

وتعرف الانثروبولوجيا أيضا بانها علم الاناسة أي العلم الذي يدرس الانسان كمخلوق ينتمي الى العالم الحيواني من جهة، ومن جهة اخرى انه الوحيد من الأنواع الحيوانية كلها الذي يصنع الثقافة ويبدعها، والمخلوق الذي يتميز عنها جميعا (الجباوي، ١٩٩٧، صفحة ٥٦).

كما تعرف الانثروبولوجيا عند شاكر مصطفى سليم بانها علم دراسة الانسان طبيعيا

واجتماعيا وحضاريا (سليم، ١٩٨١، صفحة ٥٦).

ثانيا: التعليم الثانوي:

التعليم الثانوي جزء لا يتجزأ من مجموع المنظومة التربوية، وهي بمثابة الحلقة الرئيسة تمفصل منظومة التربية والتكوين والشغل، حيث يحتل موقعه بين التعليم الابتدائي الذي يستقبل عددا هائلا من التلاميذ الى جانب التكوين المهني من جهة، ومن جهة أخرى بين التعليم العالي لبذي يشكل المصدر الوحيد للطلبة المقبلين على الدراسة الجامعية وعالم الشغل من بعد، وهو يتزامن مع فترة حرجة وهي فترة المراهقة وما يصاحبها من تغيرات في البناء النفسي والجسمي (فروجة، ٢٠١١، صفحة ١٠٥).

والتعليم الثانوي بصفة عامة هو مرحلة تعليمية من مراحل التعليم الرسمي الذي تمارسه المؤسسات التعليمية الرسمية وفق عملية تسمى بالتنشئة المدرسية (سيمور، ١٩٩٨، صفحة ٢٧٢). ويقصد بالتعليم الثانوي أيضا ذلك النوع من التعليم النظامي الذي يلي مرحلة التعليم الأساسي الذي يقدم للطلاب في المرحلة العمرية ما بين ١٢-١٨ سنة ومدته ٦ سنوات، ويهدف الى اعداد الطلاب للحياة جنبا الى جنب مع اعدادهم للتعليم العالي او المشاركة في الحياة العامة والتأكيد على ترسيخ القيم الدينية والسلوكية (فرج، ٢٠٠٩، صفحة ٨١).

المبحث الثالث: مجالات الانثروبولوجيا

ان تضمين الانثروبولوجيا في العلوم الاجتماعية يطرح تساؤلات عديدة حول كيفية استخدام الأساليب العلمية الكلاسيكية عند التعامل مع الظواهر المختلفة، وبصفة عامة فقد تعامل علماء الانثروبولوجيا مع ظواهر لا تتلاءم مع استخدام الأساليب العلمية الكلاسيكية. فمحاولة فهم الرمزية ومعنى الأسطورة او الطقوس لا يكون مثل التنبؤ

بمن سيكسب انتخابات معينة او اختبارا تجريبيا فلا يوجد بسهولة في الباحث الانثروبولوجي شيئا يمكنه قياسه او حسابه او التنبؤ به. فمعظم الانثروبولوجيين يعملون على الباحث عن المعاني ثم تفسيرها بالعديد من الطرق التي تتقارب مع العلوم الإنسانية أكثر من العلوم الطبيعية فلأنثروبولوجيا مثل التاريخ لديها اشكالا وأساليب تستطيع من خلالها اكتشاف وتفسير الظواهر بهدف تفسيرها والتحقق من صدقها، وأساليب أخرى تهدف الى تعميم ووضع النظريات بطرق تساعد على استخدامها في العلوم الاجتماعية. وتكون المناهج المستخدمة هي التي تصلح لتحقيق الأهداف سواء تفسيرها بطريقة بدائية ام بتعميمها وصياغتها في نظرية بالأساليب البدائية، ولكن بالنسبة للأنثروبولوجيا فقد تم تكوين المناهج المستخدمة بشكل مباشر عن طريق التعامل مع الظواهر التي يلاحظها ويتعلم منها علماء الانثروبولوجيا (kessing, 1981, pp. 1–8).

ولقد بدأت المحاولات الفعلية للاستفادة من الانثروبولوجيا بعد الحرب العالمية الأولى حيث ارتبط اول استخدام عملي لها بادرة شؤون المستعمرات حيث نجد إدارات للمستعمرات البريطانية والفرنسية والهولندية استخدمت وعلى نطاق واسع الدراسات الانثروبولوجية كما استخدمت الحكومة الامريكية هذا النوع من الدراسات فيما يتعلق بتقديم الخدمات المطلوبة للهنود الحمر، وكذا في المناطق التابعة لها في المحيط الهادي وذلك وفقا لخصائص وثقافة تلك المجتمعات، وفي الوقت الحاضر نجد ان نتائج الدراسات الانثروبولوجية بدأت تفيد في مجالات أخرى كالصناعة وخاصة العلاقة بين الإدارة والعمال، وفي مجالات العمل المختلفة، كما انها مفيدة الى درجة كبيرة في مشروعات الإسكان والتوطين والتعليم وكذا تنمية المجتمع المحلي والتنمية الاقتصادية، كما انه يمكن الاستفادة من أساتذة الانثروبولوجيا والباحثين في دراسة جوانب مختلفة كالمشروعات الصحية وعمليات التكيف في المجتمعات التي تتجه نحو التصنيع وخاصة تلك المجتمعات التي تعتمد على عمالة بدوية وريفية (غانم و الغامدي ، ١٩٩٠، صفحة ٢٦).

وإذا نظرنا الى الانثروبولوجيا نظرة متعمقة، فليس من الغريب ان تجد عالم البيولوجيا الذي يتخصص في عظام الحفريات الموجودة منذ القدم ويستكشف عالم الاثار المجتمعات القديم في الشرق الأوسط، ويحلل عالم اللغة لبنية اللغات في شرق افريقيا، ويدرس عالم الفولكلور اساطير الاسكيمو، كما يوجد من يتخصص في القرابة والزواج في غينيا الجديدة كما يوجد خبير في عمال المزارع المكسيكية والأمريكية في كاليفورنيا (اسماعيل، ١٩٨٠، صفحة ٢٨).

فماذا يملك هؤلاء العلماء بصفة عامة؟ وما للذي يجعل علماء الانثروبولوجيا يختلفون عن علماء الاجتماع وعن علماء النفس، وعلماء اللغة او المؤرخين؟ فليس من السهل ان تحدد ما هي الانثروبولوجيا وما يقوم به علماء الانثروبولوجيا وتحديد اتجاهاتهم ومجالات دراساتهم (الجوهري، ١٩٨٢، صفحة ٣٥).

وتركز اللغة الانثروبولوجية على اللغات غير المكتوبة والتي يتم اخضاعها لنظريات اختبار اللغة وتراعى عند دراستها للغات جميع أنواع البيئات الاجتماعية والثقافية، ويوجد اثنان من رواد الانثروبولوجيا الامريكية وهما" فانس بواس" و " ادورد سابير" تخصصا في اللغات وكذلك الثقافات الهندية الامريكية. وتستخدم الانثروبولوجيا الثقافة عادة لتشير الى مجال محدد يركز على دراسة العادات البشرية وذلك يمثل دراسة مقارنة للثقافات والمجتمعات، وقد ركزت الانثروبولوجيا خلال القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين على مقارنة الشعوب التي تقع على الحدود الاوربية، ولكن لتحقيق اهداف معينة تختلف عن تلك الأهداف المتعلقة بالدراسات الحديثة.

وقد استخدمت هذه المقارنات لإعادة بناء الروابط التاريخية بين الشعوب في الآونة الأخيرة وكذلك لإعادة بناء المراحل التي تطورت من خلالها الثقافة البشرية منذ البدايات الأولى، ومع حلول ١٩٢٠ نجد ان الانثروبولوجيا الثقافية بمعناه الضيق هذا قد تمثلت مشكلتها الأساسية في البحث عن التعميمات والوصول الى نظريات عن السلوك والثقافات والسلوك الاجتماعي الإنساني، وبناءا على ذلك تم استخدام الانثروبولوجيا الاجتماعية في هذا النطاق على انه أكثر ملاءمة في هذه المنطقة الهامة للأنثروبولوجيا الثقافية (غنيم، بلا سنة طبع، صفحة ١٣).

المبحث الرابع: الانثروبولوجيا والتعليم الثانوي/ نظرة تحليلية

لم تحظى الانثروبولوجيا وبعض فروع العلوم الإنسانية الأخرى بقدر من التجاذب الدراسي في المراحل ما قبل الجامعية بالاهتمام نفسه الذي حضن اختصاصات علوم كثيرة قضى الدارس في المرحلة المتوسطة او الثانوية منها سنوات عديدة في دراستها على ايدي أساتذة متخصصين في الحقل الدراسي المذكور.

وتبرز هذه المشكلة–على نحو واضح–في العديد من البلدان النامية والتي تتميز بتدنيات مستوياتها التعليمية والفقر الثقافي، والضعف الملزم في انتهاج رباط المسؤولية تجاه الواقع الدراسي والاستخفاف– للأسباب المذكورة– بقينة مستقبل أبنائها والذي ينتج–أساسا– من عدم تقدير أهمية التراث والحاضر المنجز.

ان هذه المشكلة تكاد لا تنحصر في واقعيتها على تلك الأقطار من العالم، فهي تثبت بانها وسيط مشترك فب بلدان توصف بمدى التقدم العلمي على اختلاف مستوياته وما حققه من اثر في ذلك، ولكن التشارك" الاشكالي" هذا لا يعني انه يفرض الأسباب نفسها في كل دولة او مجتمع، فقد تعددت أسبابه نظرا لاختلاف اغراضه او ظروفه، وهذا بمعنى من المعاني يعطي صورة واضحة عن (عالمية) المشكلة وكونيتها، ونها لا تقتصر على فئات او مجموعات دون أخرى، الا ان هذا بحد ذاته ليس مهما، ان ما يهمنا هنا هو البحث عنها وكشف حقيقتها من اجل بروز مبدأ التشخيص، وان هذا المبدأ لا ريب سوف يحقق اغراضه على اعتباره الخطوة الأولى لانتهاج السياسة المناسبة للتعليم.

لقد اثار مستوى العلاقة بين الانثروبولوجيا والتعليم ما قبل الجامعي اهتمام عدد غير قليل من الدارسين وتنبهوا الى العواقب الوخيمة وما قد يحصل من انعكاسات سلبية في حالة اهمال مقل تلك الدراسات او العزوف عنها على المستوى العلمي والثقافي للطلبة الدارسين، الامر الذي دعا الى التطلع في بيان الرؤية المعرفية لفلسفة العلاقة والترابط الوثيق بين مسألة ادخال الانثروبولوجيا في التعليم الثانوي من جهة وأثر التعليم في المؤسسة التمهيدية هذه على الحالة العلمية للباحثين في المؤسسات الجامعية من جهة أخرى. الى الان تبدو المسألة تعاني من صعوبات ومعوقات نوعا ما، ولكنها ليست مستحيلة، فالمسؤولية تلف الجميع: الدارس/الطائفة/ العلمية/المؤسسة الاكاديمية، فهي مسؤولية مشتركة يقع على عاتقها–قد لا أكون مبالغا–مستقبل العلم الإنساني في علم الاجتماع والانثروبولوجيا، وهذا يقودنا–بداية–الى فهم الأرضية المناسبة والمبادئ العامة للفكر الانثروبولوجي التمهيدي الاولي وعلى صعيد المؤسسات الجامعية.

ان الاختصاص الانثروبولوجي يتطابق مع ضرب من الطليعة الضرورية في حركة الأفكار والاعتقاد الراسخ في قدرة العلم الإنساني على تجاوز تحدياته المتمثلة أولا: في الخارطة المعرفية للفهم، وثانيا: في معرفة الدارس نفسه لهذا الحقل من الدراسة، والسببان يرتبطان كلية احدهما بالآخر، فقد بينت الكثير من الدراسات– وهذا ما أكدته الوقائع– ان الجهل الذي يطوق (اذهان) الكوادر التدريبية في المراحل الثانوية او التمهيدية من الدراسة، اكثر وقعا من التأثير من مقدمة الأسباب الأخرى، وتحديدا في حالة كون المعلم او الأستاذ وقد انيطت به دراسة مادة هي ليست من اختصاصه او كما يقول المثل : انه يغرد خارج السرب.

ومن جانب اخر؛ يمكن تفسير ضعف الطائفة العلمية في العلوم الاجتماعية بوصفه صادرا عن طابعها نفسه، ان من طبيعتها في الواقع ان تكون معرضة بأكثر الصور مباشرة للأيديولوجية المحيطة، والحال ان هذه الأيديولوجية ليست معارضة بصورة أساسية لمبدأ الانثروبولوجيا ولكل علم اجتماع سليم او معمق فحسب، بل هي أيضا مقسمة الى اتجاهات متباينة، ومن ثم فهي لا تستطيع الا ان تضعف الاجماع الممكن انتظاره من الطائفة العلمية في مرحلة الاستقرار وعلى العكس، من الواضح انه بقدر ما يضعف الاجماع تقل قدرة الطائفة في الدفاع عن نفسها امام الضغوط، ان لم يكن امام اجتياحات الأيديولوجية العامة.

ويرى سبب ضعف الاجماع المهني في أمور عدة منها:

١– تعدد فروع الانثروبولوجيا/ تكاثر الاختصاصات.
٢– توجهات منافسة تتناول مثلا المجال الكلي نفسه.
٣– توجهات تخضع الانثروبولوجيا لهموم غير انثروبولوجية.

٤- الطائفة العلمية المزيفة/ الجهل المزدوج.

ومن اجل بحث طبيعة العلاقة بين الانثروبولوجيا والتعليم ما قبل الجامعي أي في المؤسسات التعليمية الثانوية او التمهيدية من الدراسة، ينبغي علينا تمهيد الأرض، فالمشكلة مثلثة تتجلى في: غاية التعليم، محتواه، نتائجه المتوقعة، وبعد هذا التشخيص يمكن بيان ما هو مقرر:

غاية التعليم:

تؤكد البحوث العلمية باطراد على الأهمية القصوى لسنوات الطفولة المبكرة في تشكيل العقل البشري وتحديد مدى امكانياته المستقبلية، الامر الذي يبرز الحاجة الى التركيز على التعليم ما قبل المدرسي، ان "فلسفة التمهيد" هذه ضرورية في كل مرحلة من مراحل حياة الانسان العلمية، ومن دون ذلك فان نصيب الفشل في مجرى التحصيل يكون واقعا، وتلك أخطاء لم تعالج _الى الان_ بأساليب حكيمة او خطوات جدية في هذا المضمار.

ان المعرفة الحديثة هي ذاتها قوة تسند بذلك تربيه الجيل الدراسي على موقف عقلاني واضح من المشاكل الطبيعية والإنسانية، ويرتبط بهذا تربية القوة النافذة عند الناس لكي يستطيعوا في ضوئها وبواسطتها ان يفكروا في بنى اجتماعية أفضل. اذ لابد من ان تشتق غايات العمل التربوي والتعليمي من الرؤى الكونية لتربية القرن الحادي والعشرون، فيجب ان تصل التربية المهتمين بالعصر الذي سيعيشون فيه وهو عصر محكوم بمبادئ علمية مثل مبدأ النظام، ومبدأ الطريقة السليمة التي تودي الى فهم سياقات السبب والنتيجة في تحليل وقوع الظواهر الطبيعية والاجتماعية.

ان غاية التعليم(الانثروبولوجيا) ينشد الى مجموعة اهداف بارزة لها أهميتها النظرية للتقييم من خلال بيان الفارق في مستوى التعليم بين الطلبة او الدارسين قبل الادخال المحتمل للأنثروبولوجيا او بعد ذلك، وهذه النقطة ترتبط تماما بمسالة اعداد او تأهيل الطالب (علميا) وفنيا وذلك من خلال زرع الرغبة عنده في ممارسة هذا الاختصاص على الأقل_ مستقبلا. كذلك يبرز هدف الادخال القيمة النظرية والعلمية للعلم الإنساني وتأثيراته المباشرة على الحياة الاجتماعية للإنسان والتعرف على اهم الإنجازات والتوقعات الحاصلة ضمن هذا العلم، يضاف الى ذلك الوقوف على أبرز النظريات والأفكار الحاضرة ومعرفة الأسباب الحقيقية وما قدمته من خطوات مهمة لتقدم الشعوب وفهم سر ذلك.

كمل تتجلى غاية التعليم في مواكبة التطورات التي حصلت في المجال الإداري والفني والتخصصي، وما تبعه من عمليات تغيير في المناهج الدراسية والمواد الأساسية للتعليم عبر الاستفادة القصوى من التجارب الأخرى

لشعوب ومجتمعات او سياسات مارست هذا التطبيق، ومن ثم تنمية الشعور عند الطلبة والدارسين بأهمية هذا العلم وعدم الاستغناء عنه باعتباره يمثل ضرورة علمية كونه من العلوم الأساسية التي تهتم بدراسة حياة الانسان وحاضره ومستقبله، وكل ذلك يجري عن طريق تعليم وتدريب الطلبة والباحثين على ممارسة الدراسات والبحوث الميدانية(الاستطلاعية) في المرحلة التمهيدية التي تسبق الحياة الجامعية من اجل تنمية خبراتهم في هذا المجال بحيث يسهل عليهم الهضم المعرفي والفهم السريع في المراحل التالية من الدراسة وتنشيط الذاكرة المعرفية لهم.

إضافة الى ذلك؛ ربط الانثروبولوجيا–كعلم–في المرحلة ما قبل الجامعية مع غيرها من العلوم والمواد الدراسية الأخرى على أساس التعاون المنهجي بينها بحيث تتوافق –في النهاية–جوهريا، مع إعطاء الوقت لحدوث تغييرات على مستوى الفرد والمجتمع، كذلك الكشف عن الحقائق والاهداف والغايات الأساسية لهذا العلم. فهل نحن بحاجة ماسة وضرورية لهذا العلم الإنساني في التعليم الثانوي؟ ان الإجابة عن هذا التساؤل تحدده مدى الإمكانيات المتوفرة وكيفية توظيفها نظريا وعلميا مع اسعافها بالفائدة وما يمكن ان تجنيه من أرباح علمية على المستويات كافة، وهذا ما نروم مناقشته في الاسطر التالية.

محتوى التعليم:

خطت عدد من البلدان في البلاد العربية والنامية خطوات واسعة وبخاصة في منتصف القرن الماضي، ومع ذلك فان الإنجاز التعليمي في الأقطار العربية بمجمله بالمعايير التقليدية ما يزال متواضعا إذا ما قورنت بالإنجازات في أماكن أخرى من العالم.

لقد اكدت بعض الدراسات المتوافرة على غلبة ثلاث سمات أساسية على ناتج التعليم منها:

١– تدني التحصيل المعرفي.
٢– ضعف القدرات التحليلية والابتكارية.
٣– اطراد التدهور فيها.

ولعل أكثر جوانب ازمة التعليم واثارة للقلق هو عدم قدرة التعليم على توفر متطلبات تنمية المجتمعات التي تكون نتيجة ذلك معزولة عن المعرفة والمعلومات والتقانة العالمية، فالمواد الإنسانية والاجتماعية تتميز بعلاقاتها وتأثيرها على أفكار الناس ومعتقداتهم.

ويرى دعاة فلسفة الإصلاح التعليمي ان التعليم ينبغي ان لا يتوقف على الكتب الت نستخدمها فحسب، بل كذلك على الاتجاهات السائدة للذين يُعلمون. وهذه نقطة مهمة في التعبير عن مضمون قيمة المعرفة الصادرة، ويتوقف ذلك أكثر على قاعدة الانتماء الأيديولوجي للطائفة العلمية، هنا الانثروبولوجيا تواجه تحديا رهيبا عليها ان تمتلك القدرة الكافية على مواجهته والتعامل بمهنية عالية مع الاحداث والوقائع الاجتماعية. وهذا يتطلب من " المعلم" او "المدرس" الانثروبولوجي اعمال الطرق العلمية السليمة والخطوات المنهجية المناسبة في معالجتها للواقعة الإنسانية من دون الانحياز لجهة معينة تغلب فيها العاطفة على المسلمات العقلية.

ان تعليما اوليا للأنثروبولوجيا ليس ممكنا ال حين توضح فيه علاقتنا المهنية بالقيم الحديثة وبخلاف ذلك نشارك في شيء ليس له من الانثروبولوجيا الا الاسم، فلا يسعنا–مثلا–تناول العنصرية في فرنسا دون الإشارة الى وضع العمال المهاجرين. هنا يلُزم المعلم الانثروبولوجي بان يكون على دراية واسعة بمنظومة القيم الاجتماعية من احداث وعلاقات وارتباطات وان يمتلك القابلية الذهنية في القدرة على التحليل والربط بين الأسباب، اذ يوفر ذلك له فضاءً معرفياً ويجعل منه معلما متمرسا يزاول عمله بكل مهنية.

يضاف الى ان الطائفة العلمية او المعلم الانثروبولوجي بإمكانه ان يحبب المادة الانثروبولوجية بالنسبة للطلبة لما يمتلكه من عوامل الترهيب والترغيب، فمن صفات المهنية التي يتمتع بها المعلم وأكثرها قوة هي انتزاع حالة الخوف والرهبة التي تفرضها المادة او المنهج الدراسي على الطلبة والدارسين.

ويذهب الانثروبولوجي الفرنسي " ليفي ستروس" الى انه لا ينبغي لاحد ان يتقدم لتعليم الاناسة(الانثروبولوجيا) ما لم يكن قد قام ببحث ميداني هام واحد على الأقل، لان تعليم الاناسة ينبغي ان يكون وقفا على شهود العيان، وليس فسي هذا الموقف أي جرأة او جسارة فهو في الواقع (ان لم يكن دائما من حيق المبدأ) مرعي في جميع البلدان التي بلغت فيها الانثروبولوجيا مرحلة معينة من النمو.

ان الانثروبولوجي –اذن–بحاجة الى الخبرة الميدانية، وهذه الخبرة ليست بالنسبة له لا هدفا من اهداف مهنته، ولا اكتمالا لثقافته، ولا تقنية يتعلمها فحسب، انها تمثل لحضه بالغة الأهمية من لحظات تمرسه، سواء على صعيد الدراسة الثانوية او التعليم الجامعي، كما انها لا تعد عبئا ثقيلا او جهدا مضافا على الرغم من الصعوبات والتحديات المنتظرة، فالممارسة الميدانية انما تشكل الكف المعادل لتلك الخبرة الفريدة. ان الدراسات في المرحلة ما قبل الجامعة تتميز بطابعها النظري وتحديدا في المواد الإنسانية وتفتقر للدراسات الميدانية، فكان من اللازم–عند دراسة الانثروبولوجيا– ان يتم اعمال سد هذه الهوة بين الجانبين النظري والعملي ومحاولة التوفيق بينهما، والتركيز على الزيارات الميدانية والدراسات الاستطلاعية لما له من اثر واضح على مستوى الفهم لدى المتعلم، وهذا يرتبط

–أيضا– في تعزيز المادة النظرية بالرسوم والبيانات والمخططات التوضيحية والكف عن الاطناب غير المجدي للشروح التفصيلية التي تشعر الطالب بالنعاس واهمال مواطن الاهتمام.

وكما قلنا سابقا فان للتأثير المباشر للمواد الإنسانية على معتقدات الناس وافكارهم يجعل السلطة القائمة في الكثير من البادان تعمل على اصدار المناهج الكتب المدرسية المشتملة بالافتخار بمنجزات الماضي والثناء على الذات، ووضع اللوم على الأجنبي، وتكريس مشاعر الولاء والطاعة للقوى السياسية والدينية التي تتحكم برقاب الناس ومستقبلهم وبالتالي لا تشجع على التفكير النقدي الحر، فمحتوى المناهج يتجنب تحفيز الطلبة والدارسين على نقد المسلمات الاجتماعية او السياسية ويقتل فيهم النزعة الاستقلالية والابداع، وبشكل عام فان المناهج تبدو وكأنها تجسيدا لمفهوم يعتبر عملية التعليم كما لو انها عملية انتاج صناعي تلعب فيها المناهج وتفريعاتها والمضامين المشتقة منها دور القوالب تنصب فيها عقول الناشئة وهذا ما يعبر عنه ب "البعد الصنمي" في التعليم.

ويتناول المفكر العربي "هشام شرابي" أسلوب التلقين كطريقة تسلطية في التعليم فهو يقول: ان التلقين يجعل المتعلم يستجيب باكتساب عادة الصم (أي الدراسة بالاستظهار). ان ما يدرسه الطفل بهذه الطريقة يحفظه كما هو، بمعنى ان الفرد المتعلم لا يتأثر بموضوع التعلم لأنه لا يهتم بفهمه وادراكه بل باستنساخه وحفظه، والتلميذ المجتهد هو الذي يثبت ذاته وينال المكافأة لا بطرح الأسئلة الملائمة بل بإعطاء الأجوبة الصحيحة "الملقنة" ويشير شرابي الى خطر هذه المعرفة المجردة لأنها منفصلة عن الواقع وليس لها سوى علاقة واهية بتجارب الحياة اليومية.

ولعل الكثير منا يتساءل يوميا عن فائدة الكم الهائل من الدروس النظرية المجردة التي درسناها والتي لا علاقة لها بالواقع، ولهذا ليس مستغربا ان تضم البلاد العربية "جيوشا" من المتعلمين تعليما جامعيا، لكن الحصيلة الاجمالية لهذه الأجيال من الناحية المعرفية العلمية تبدو محدودة بسبب الأخطاء القاتلة في النظام التربوي والتعليمي.

ومن جهة أخرى؛ ان أسلوب التعليم المبني على أسلوب المناقشة والحرية في التعبير والبحث والتساؤل يعمل على تنمية حركة الابداع وتكوين أنماط (دينامية) من التعامل والحوار، فلابد –اذن–من إيجاد طريقة تعمل على التخفيف من وطأة المنهجية الثقيلة في التعامل مع المادة المدروسة بالنسبة للطلبة وعدم حمل الطالب تكاليف لا يسعه حملها تؤدي في النهاية الى ارباكه والتشويش عليه ومن ثم ابتعاده عن الرغبة في التعامل مع هذه المناهج.

النتائج المتوقعة:

كل محاولة او خطوة –بداية–تعترضها مجموعة تحديات وعقبات كثيرة تحاول تعثرها قدر الإمكان، في المقابل عليها موجهة كل ذلك مهما كانت الإمكانيات التي تملكها وان تدفع عنها روح اليأس وان يكون هناك إصرارا واضحا على التواصل والاستمرار مهما بلغت قيمة الخدمات التي تقدمها. اذ ان الإصرار الملازم للعزيمة والتفاؤل المشبع بالأمل وامتلاك القدرات والقابليات ووضع الأمور في نصابها، والاختيارات الحكيمة للأدوات والأساليب والمناهج كلها أسباب تضمن نجاح العملية.

ان نجاح او فشل المهمة مرهون بأخذ الأساليب الموجبة لكليهما اعتمادا على فلسفة التطبيق وطريقة التعامل مع حيثيات الموضوع ومدى الانسجام او التلاؤم بين مستوى الفكرة والاختيار الأمثل للتطبيق، كذلك يمكن الاستفادة من تجارب أخرى واقعية اثبتت نجاحها في هذا المجال علميا وادرايا وفنيا، ولاستفادة –أيضا–من الأخطاء التي ظهرت في اعمال الموضوع لتجارب لم يحالفها التوفيق لأسباب كثيرة معينة.

ان مسألة ادخال التعليم الأناسي (الانثروبولوجي) والاهتمام الجدي بمقرراته الدراسية الاكاديمية سوف يعمل على تحقيق مستوى أفضل للأبداع والتطور والتنمية المجتمعية ما دامت المعرفة تظهر حتى تتبلور شيئا فشيئا لتكشف عن كوامن قيمها وما يمكن ان تحققه في البعد المستقبلي من إيرادات معرفية حية يكون لها أثر كبير في تقدم الشعوب ورقيها. لذا علينا أعادة الاعتبار للعلم الإنساني على صعيد المعرفة المدرسية بعد ما كانت مهملة الى حد ما، وهذا الاهتمام له انعكاساته وتأثيراته الواضحة على الواقع الاجتماعي عبر إعطاء الفرد المركزية في العملية التربوية.

الاستنتاجات:

توصل البحث الى مجموعة من الاستنتاجات منها ما يلي:

١– فهم الأرضية المناسبة والمبادئ العامة للفكر الانثروبولوجي على الصعيد التمهيدي الاولي وعلى صعيد المؤسسة الجامعية.
٢– ان الجهل الذي يطوق اذهان الكوادر التدريبية(المدرسين) في المراحل الثانوية التمهيدية من الدراسة، أكثر وقعا في التأثير وتعتبر من مقدمة الأسباب، وتحديدا كون الأستاذ قد انيطت به دراسة مادة هي ليست من اختصاصه.
٣– يمكن تفسير ضعف الطائفة العلمية في العلوم الاجتماعية بوصفه صادرا عن طابعها نفسه، وان من طبيعتها في الواقع ان تكون معرضة بأكثر الصور مباشرة للأيديولوجية المحيطة بها.

٤- ان غاية التعليم(الانثروبولوجيا) ينشد الى مجموعة اهداف بارزة لها أهميتها النظرية للتقييم من خلال بيان الفارق في مستوى التعليم بين الطلبة او الدارسين قبل الادخال المحتمل للأنثروبولوجيا او بعد ذلك.

٥- تنمية الشعور عند الطلبة والدارسين بأهمية هذا العلم(الانثروبولوجيا) وعدم الاستغناء عنه باعتباره يمثل ضرورة علمية ومعرفية كونه من العلوم الأساسية التي تهتم بدراسة حياة الانسان وحاضره ومستقبله.

٦- تعليم وتدريب الطلبة والباحثين على ممارسة الدراسات والبحوث الميدانية الاستطلاعية في المرحلة التي تسبق الحياة الجامعية من اجل تنمية خبراتهم في هذا المجال.

٧- ربط الانثروبولوجيا كعلم في المرحلة ما قبل الجامعية مع غيرها من العلوم والمواد الدراسية الأخرى على أساس التعاون المنهجي بينها بحيث تتوافق في النهاية جوهريا، مع إعطاء الوقت لحدوث تغييرات على مستوى الفرد والمجتمع.

٨- ان أكثر جوانب ازمة التعليم واثارة للقلق هو عدم قدرة التعليم على توفير متطلبات المجتمعات التي تكون نتيجة ذلك معزولة عن المعرفة والمعلومات والتقانة العالمية.

٩- ان أسلوب التعليم المبني على أسلوب المناقشة والحرية في التعبير والبحث والتساؤل يعمل على تنمية حركة الابداع وتكوين أنماط دينامية من التعامل والحوار.

١٠- ان مسألة ادخال التعليم الانثروبولوجي والاهتمام الجدي بمقرراته الدراسية الاكاديمية سوف يعمل على تحقيق مستوى أفضل للأبداع والتطور والتنمية المجتمعية.

المصادر:

1-kessing, M. R. (1981). *cultural anthropology.* sounder collge publishing: the dryen press.

٢- بلحاج فروجة. (٢٠١١). *التوافق النفسي الاجتماعي وعلاقته بالدافعية للتعليم لدى المراهق المتمدرس في التعليم الثانوي.* الجزائر: جامعة مولود معمري.

٣- جولي ماكليود، و ريتشارد طومسون. (٢٠٢٤). بحث *التغيير الاجتماعي* (المجلد ط١). (ترجمة سحر توفيق، المترجمون) القاهرة/مصر: المركز القومي للترجمة.

٤- حسين فهيم. (١٩٩٧). *قصة الانثروبولوجيا- فصول في تاريخ علم الانسان.* الكويت: عالم المعرفة (٩٨).

٥- د.عيسى الشماس. (٢٠٠٤). *مدخل الى علم الانسان(الانثروبولوجيا).* دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

٦- د.مجيد حميد عارف. (١٩٩٠). *اثنوغرافيا شعوب العالم*. بغداد: مطبعة التعليم العالي.

٧- شارلوت سيمور. (١٩٩٨). *موسوعة علم الانسان- المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجية*. (ترجمة محمد الجوهري واخرون، المترجمون) القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة.

٨- شاكر مصطفى سليم. (١٩٨١). *قاموس الانثروبولوجيا*. الكويت: جامعة الكويت.

٩- عبد اللطيف حسين فرج. (٢٠٠٩). *منهج المدرسة الثانوية في ظل تحديات القرن الواحد والعشرون*. الاردن: دار الثقافة.

١٠- عبدالله غانم، و سعيد الغامدي . (١٩٩٠). *المدخل الى علم الانسان*. القاهرة: المكتب الجامعي الحديث.

١١- علي الجباوي. (١٩٩٧). *الانثروبولوجيا (علم الاناسة)*. سوريا: منشورات جامعة دمشق.

١٢- فاروق مصطفى اسماعيل. (١٩٨٠). *الانثروبولوجيا الثقافية*. الاسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٣- محمد احمد غنيم. (بلا سنة طبع). *دراسات في الانثروبولوجيا*. المنصورة: كلية الاداب.

١٤- محمد الجوهري. (١٩٨٢). *الانثروبولوجيا- دراسات نظرية وتطبيقات عملية*. القاهرة: المكتب الجامعي الحديث.